

استراتيجيات لتحقيق هدف التعليم للجميع المتعلق بالرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة

ضمن المناطق التي تحتل مؤخرة الركب في هذا المجال.

وتفاوتت نسبة انتشار خدمات رعاية الطفولة⁽²⁾ من منطقة إلى أخرى. ففي البلدان المتقدمة، يرتبط ذلك مباشرة بارتفاع نسبة اليد العاملة الأنثوية، إذ إن انتشار خدمات رعاية الطفولة يتزايد كلما دفع النمو الاقتصادي بمزيد من النساء إلى سوق العمل. وفي آسيا الوسطى، يشمل مفهوم التربية قبل المدرسية، منذ مدة طويلة، الأطفال دون الثالثة من العمر، الذين يتلقون الرعاية والتربية في إطار مؤسسي منذ الولادة تقريباً.

وفي أمريكا اللاتينية والكاريبية أقامت بعض الحكومات برامج طموحة للرعاية الاجتماعية لفائدة أفقر الأسر، وهذا ما يفسر جزئياً انتشار خدمات رعاية الطفولة في هذه المنطقة على نحو متزايد.

أما في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى، فإن الأمهات تعمل بالأخص في القطاع غير الرسمي، مما يفسر صعوبة المطالبة بخدمات رعاية الطفولة بشكل صريح. وفي البلدان العربية، التي تمثل فيها مشاركة المرأة في سوق العمل 29% فقط مقارنة بنسبة 52% في البلدان النامية، تمكث معظم الأمهات في البيوت؛ ولهذا يبقى الطلب على خدمات رعاية الطفولة في الحد الأدنى؛ ثم إن العادات التي تقضي بإبقاء الأطفال في البيت حتى السن الرسمية للالتحاق بالتعليم لا تحث الأسر⁽³⁾ على الاستعانة

أبرز التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام 2008 مشكلتين لا بد من معالجتهما لتحقيق هدف التعليم للجميع المتعلق بالرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة⁽¹⁾ وهما: عدم وجود برامج شاملة للرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة تستهدف الأطفال دون الثالثة من العمر، والتفاوت في توفير التعليم قبل الابتدائي للأطفال الذين تتجاوز أعمارهم ثلاث سنوات.

ما هي الاستراتيجيات التي من شأنها أن تساعد البلدان مساعدة ملموسة على تجاوز هذه العقبات والمضي إلى الأمام بمزيد من السرعة في مجال الطفولة المبكرة؟ وهل سيتعين على المسؤولين ورسمي السياسات الحكوميين إعادة النظر في مخططاتهم لمجابهة هاتين المشكلتين اللتين لا تزالان مصدراً للقلق؟ هذا ما سيحاول هذا المقال الإجابة عنه، ولكن قبل ذلك، يجدر التطرق إلى المشكلتين المذكورتين آنفاً بشيء من التفصيل.

عدم كفاية برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، الموجهة إلى الأطفال دون الثالثة من العمر

استناداً إلى التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام 2008 (ويشار إليه فيما يلي باسم "التقرير")، لم تنزود إلا 53% من البلدان فقط ببرامج للرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة موجهة إلى الأطفال دون الثالثة من العمر. وتقع معظم هذه البلدان في أمريكا الشمالية، وأوروبا الغربية، وآسيا الوسطى، وأمريكا اللاتينية والكاريبية. أما افريقيا جنوب الصحراء الكبرى والبلدان العربية فهي من

(2) يعتبر مفهوم برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، الموجهة إلى الأطفال دون الثالثة من العمر، أكثر شمولاً من مفهوم الخدمات المؤسسية لرعاية الطفولة، ولكن بما أن هذه الخدمات هي الشكل السائد لتلك البرامج، فإن المصطلحين سيستعملان هنا للتعبير عن نفس المعنى.

(3) نحيط علماً في هذا الصدد بأن سن التسجيل في التربية الابتدائية لدى معظم البلدان العربية هو أربع سنوات، مقابل ثلاث سنوات في جميع المناطق الأخرى.

(1) يتمثل الهدف الأول المتعلق بالطفولة المبكرة من بين أهداف التعليم للجميع في: "توسيع وتحسين الرعاية والتربية، بجميع أشكالهما، في مرحلة الطفولة المبكرة، وخاصة لصالح أكثر الأطفال تأثراً وأشداهم حرماناً."

فما العمل إذًا؟

من المستبعد أن تقوم الحكومة في أي بلد من البلدان النامية بتمويل خدمات رعاية الطفولة إلا إذا كان هناك طلب صريح في هذا الشأن، أو إذا بلغت الاحتياجات مستوى حرجاً. ولا بد من مضي بعض الوقت في هذه البلدان قبل أن تُسمع وتنفذ توصيات التقرير التي تحث على بذل جهود وطنية لتمويل برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة وتنسيقها والإشراف عليها.

التركيز على الصحة

يمكن في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى رسم استراتيجية أكثر فعالية توجه إلى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة، وتركز على المسائل الصحية بدلاً من التركيز على مفهوم خدمات رعاية الطفولة، التي لا تزال قليلة الانتشار في المنطقة.

وينطوي إعطاء الأولوية للصحة على فوائد كثيرة. فخلافاً للموقف من برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، تبدي معظم الحكومات اهتماماً بارزاً بمسألة الصحة العامة، وهذا ما يعتبر فرصة سانحة لتعبئة الرأي العام وجلب الاستثمارات. ومن حيث البرمجة، يمكن للنظام الصحي، إذا شُفّع ببرنامج جاد لمحو أمية الوالدين، أن يعزز التنمية الشاملة للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. وينبغي أن لا ننسى أن نسبة وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر تصل إلى 163 في الألف⁽⁵⁾ في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (2005-2010)، وهو ما يمثل أكثر من ضعف المعدل العالمي (78 في الألف)، مما يجعل تأمين بقاء هؤلاء الأطفال على قيد الحياة هو القضية المركزية لبرامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة. ويعد بلوغ أهداف الألفية بشأن تخفيض معدل وفيات الأطفال وتحسين صحة الأمهات من أفضل الوسائل التي تسهم في تعزيز برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، الموجهة إلى الأطفال دون الثالثة من العمر في المنطقة.

إعطاء الأولوية لتعليم الوالدين

بالخدمات ذات الطابع المؤسسي لفائدة الأطفال الصغار. ورغم اختلاف الأوضاع بعض الشيء بين أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والبلدان العربية، فإنه يلاحظ في كلا المنطقتين انخفاض نسبي للطلب على الخدمات الخاصة بالأطفال دون الثالثة من العمر.

أوجه التفاوت في التعليم قبل الابتدائي

خلافاً لخدمات رعاية الطفولة التي ترتبط عادة بالفئات الأكثر حرماناً وبرامج الدعم الاجتماعي، يعتبر التعليم قبل الابتدائي في جميع الأماكن امتيازاً تتمتع به فقط الأسر التي يسعها ذلك مادياً. ويتجلى هذا الطابع الإقصائي في بعض البلدان أكثر مما يتجلى في بعضها الآخر، وهذا ما يمكن تفسيره بهيمنة عروض القطاع الخاص. إذ كلما زادت العروض، تعاضمت الفوارق. ففي فيتنام⁽⁴⁾، على سبيل المثال، ارتفعت نسبة القيد في مؤسسات التعليم قبل الابتدائي التابعة للقطاع الخاص من 49% في عام 1999 إلى 60% في عام 2004. وأظهرت نسبة القيد، خلال نفس الفترة (1999-2003) فرقاً يتجاوز 35% بين المدن والأرياف، لصالح المدن.

وغالباً ما يكون غياب الخدمات العامة أو المساعدات الحكومية سبباً لظهور هذه الفوارق. ولقد تزامن انتشار مؤسسات القطاع الخاص واتساع الفجوة بين المدن والأرياف في فيتنام، مع عزم الحكومة على خصخصة الخدمات شبه العامة في المناطق الحضرية. وتمثل نسبة القيد في القطاع الخاص أقل من 1% في مولدوفا، إلا أن ذلك لم يمنع من تعاضم الفوارق الإقليمية، الذي هو نتيجة انهيار النظام الحكومي للتعليم قبل الابتدائي. ولا تعزى الفوارق التي برزت في آسيا الوسطى وفي كومولث الدول المستقلة في التسعينيات إلا إلى انهيار النظام الحكومي للتعليم قبل الابتدائي. وعندما يتسنى تدخل السلطات العامة، فإن ذلك يسهم في إيجاد حل لهذه المشكلة، إلا أن الفوارق تتعاضم، لا محالة، عندما تقطع الحكومات مساعداتها واستثماراتها.

(4) استناداً إلى التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام 2007. تعتبر فيتنام من أشد البلدان التي تتباين فيها الفوارق من منطقة إلى أخرى.

(5) لكل ألف مولود.

والثانوي حالياً بالنصيب الأوفر من الميزانية المخصصة للتعليم (70%)، وترتفع هذه النسبة إلى 77% في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وما دام هدف تعميم التعليم الابتدائي بعيداً عن متناول العديد من البلدان النامية، من المستبعد أن يحدث أي تغيير في الأولويات بشأن هذه الاستثمارات. ويبقى من الصعب الاعتماد على الدعم الخارجي لسد هذه الفجوات. كما تعتبر الاستثمارات التي تخصص حالياً لبرامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة ضئيلة جداً. ويشير التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع لعام 2007 إلى أن البلدان ذات الدخل المتوسط تستفيد من هذه الاستثمارات أكثر من البلدان ذات الدخل المنخفض، التي تتجلى فيها الفوارق بمزيد من الوضوح.

وتوجد في متناول الحكومات استراتيجية بديلة تتمثل في تخصيص مواردها للتعليم قبل الابتدائي الموجه حصراً إلى أفقر الأطفال، مع حث الأسر الموسرة على اللجوء إلى القطاع الخاص. ويتسنى في هذه الحالة لبرامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة الاستفادة من المنشآت ومن العاملين في التعليم الابتدائي إذا "حولت" هذه الموارد لصالحها. ويمكن، في حال عدم القدرة على استقبال جميع فئات الأعمار، البدء بتوفير التعليم للأطفال الأكبر سناً (5 أو 6 سنوات). وإذا تعذر توفير التعليم في إطار الدوام الكامل، فيمكن الاعتماد على الدورات الدراسية القصيرة المدة التي لا يستهان بفائدتها. وهذا ما لوحظ في كازاخستان⁽⁸⁾ على سبيل المثال، وبخاصة لدى الأطفال الذين تقطعت بهم الأسباب وحرموا منذ نعومة أظفارهم من سبل الانتفاع بالتعليم داخل بنية تعليمية منظمة.

ويشير الذين ينتقدون فكرة توفير التعليم قبل الابتدائي داخل إطار التعليم الابتدائي إلى وجود خطر كبير يتمثل في تحويل الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة إلى "تعليم مدرسي"، إلا أن

لا تطرح مشكلة نسبة وفيات الأطفال⁽⁶⁾ في البلدان العربية بنفس الحدة التي تطرح بها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى⁽⁷⁾. فعلى الرغم من أن المنطقة تعد من أقل المناطق تقدماً في مجال الخدمات المخصصة للأطفال دون الثالثة من العمر، وأن نسبة القيد الإجمالية في التعليم قبل الابتدائي فيها لا تمثل سوى نصف (17%) ما هي عليه في البلدان النامية (34%)، فإن نسبة القيد الإجمالية في التعليم الابتدائي في هذه المنطقة (79%) تقترب من نظيرتها في البلدان المتقدمة (81%)، مع نسبة مماثلة من التسرب المدرسي في السنة الأولى (0.9%)، وهي نسبة أدنى بكثير من النسبة المسجلة في البلدان النامية (5.2%).

وبهذا تكون قد حققت المنطقة أحد أهم أهداف برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، وهو تمكين الأطفال من الالتحاق بالتعليم الرسمي في ظروف جيدة، على الأقل من حيث الانتفاع به، وذلك في ما يبدو دون الحاجة إلى توسيع الآليات المؤسسية لبرامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة. وإذا كان الوالدان قادرين على تأدية المهام المطلوبة في هذا المجال داخل الإطار الأسري، فيكفي تزويدهم بالنصائح والمساعدات اللازمة لتأمين الرعاية والتربية اللتين يحتاج إليهما الأبناء، مع توفير أحسن الظروف لذلك. وهكذا، يمكن لتعليم الوالدين في هذا السياق الإقليمي أن يصبح استراتيجية فعالة جداً لرعاية الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة وتربيتهم.

"استثمار" موارد التعليم الابتدائي

على الرغم من ضرورة زيادة حجم الاستثمارات العامة في مجال التعليم قبل الابتدائي، فإن الأفاق في هذا الصدد لا تبعث على التفاؤل في البلدان النامية. ولا يعني هذا أنه يجب التخلي عن الجهود المبذولة. فعلى الصعيد العالمي، يحظى التعليم الابتدائي

(6) تبلغ نسبة وفيات الأطفال دون الخامسة من العمر 55 في الألف مقارنة بالمعدل العالمي الذي يبلغ 78 في الألف، وبمعدل 86 في الألف المسجل في البلدان النامية.

(7) لم تؤخذ في الحسبان البلدان التي هي عرضة للنزاعات أو الكوارث الطبيعية مثلما هو الحال في جيبوتي والعراق وموريتانيا والسودان واليمن.

(8) Policy Review Report: Early Childhood

Care and Education in Kazakhstan. UNESCO Early Childhood and Family Policy Series No. 12, 2005

السياسات: الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة في كازاخستان.

الخاتمة

ينبغي تفضيل الأنشطة الصحية في جميع الحالات التي تكتسي فيها مسألة البقاء مكانة جوهرية، ثم القيام، انطلاقاً من ذلك، بوضع نهج يسهم في تعزيز النمو الشامل للطفل. وعندما يكون الوالدان مستعدين للمساعدة، فينبغي اعتبارهما من ذوي الكفاءات القادرين على الاضطلاع بخدمة الطفولة المبكرة. وإذا كانت إعانات السلطات العامة غير كافية، فلا يسعنا إلا أن نأمل أن تكون الفائدة التربوية لهذه المبادرة حافزاً لضمان استدامتها المالية في نهاية المطاف. صحيح أن المثالية حافز ضروري لتحقيق المزيد من التقدم، إلا أنه لا بد من بداية لهذا التقدم، ولعل التحلي بالواقعية يحقق الانطلاقة المطلوبة.

بقلم: سو-هيانغ تشوي
التعليم الأساسي
اليونسكو، باريس⁽¹⁰⁾

لإرسال تعليقاتكم وطلبات الاستعلام التي لديكم، يرجى الاتصال
بقسم التعليم الأساسي على العنوان التالي:

Division of Basic Education, UNESCO
7, place de Fontenoy, 75352 PARIS 07
SP, France
① 33 1 45 68 08 12, fax: 33 1 45 68 56 26
earlychildhood@unesco.org

هذا النموذج يمتاز بفوائد مالية بارزة لا يسع العديد من البلدان النامية تجاهلها؛ إذ بإمكانه تحقيق ادخار فيما يخص البنية الأساسية والتدريب⁽⁹⁾ وتكاليف التشغيل، ويتيح في الوقت ذاته للحكومات التي لديها موارد محدودة فرصة توفير أسس التعليم الأولية لأفقر الأطفال أو، على أقل تقدير، تمكينهم من الانتفاع ببيئة تعلم منظمة قبل الشروع في التعليم المدرسي. وهذا شكل لا يستهان به من أشكال المساعدة.

(9) من المؤكد أن المدرسين في التعليم الابتدائي يحتاجون إلى تدريب إضافي بشأن برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة، إلا أن ذلك يبقى أقل تكلفة من توظيف وتدريب مختصين في برامج الرعاية والتربية في مرحلة الطفولة المبكرة.

(10) احتلت المؤلفة سابقاً منصب رئيسة شعبة الطفولة المبكرة والتعليم الجامع، وتعمل حالياً منصب رئيسة شعبة التعليم الثانوي والعلمي والتقني والمهني في اليونسكو بباريس.